محمد تامر

شاي بحضرة شبح

TEA WITH A GHOST

الصياغة القصصية للفيلم القصير

شاي بحضرة شبح

تأليف: محمد تامر

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله

لله الشكر والحمد والفضل على سائر نعمه عموماً، وعلى نعمة إلهامه لي بإتمام هذا العمل الأدبي خصوصاً، وهو الموفق والمستعان. اللهم انصر إخواننا في فلسطين، وثبت أقدامهم وانصرهم على أعدائهم وخاذليهم. اللهم آمين.

إهداء

محبوبتي ومعشوقتي، ورفيقة عمري المستقبلية، قبلة حانية ألفتها وجنتاك وبعد...

أذكر أنني منذ عامين كنت أتحرق شوقاً لأصور فيلماً قصيراً أعبر فيه عن حبي لفن السينما، لكن محاولاتي الثلاث الأولى فشلت كما تذكرين؛ إما لنبذي بعض الأفكار أو ضعف الإمكانيات، وكما تعلمين يا عزيزتي فإني وحيد بدون الله وبدونك!

لكن وفقني الله وأنهيت فيلمي الأول "عناق الشمس"، كان بسيطاً في كل شيء وهذا أعطاه جماله الخاص، وجعله يحوز إعجاب كثيرين من رفاقي، لكنني ظللت أفكر بشكل أكبر...

إلى أن اهتديت لفكرة "شاي بحضرة شبح"، وقد راودتني الفكرة وأنا أطارد إحدى الحافلات العائدة إلى بلدتي بعد نهاية يوم متعب اعتدت تكراره في الكلية اللعينة، وخلال فترة كنت متأثراً فيها بدراستي للتيار الفلسفي العبثي وتحديداً في الأدب، وتحديداً في فرنسا – بحكم طبيعة دراستي الجامعية.

الفيلم فكرته كانت مغرية حقاً؛ فشرعت أعمل على الهوامش والسيناريو فوراً على أن أؤجل التصوير لوقت لاحق.

وعلى أمل أن أستطيع حقاً إخراجه إلى النور، وربما يوماً ما أراك فنشاهده سوياً!

أفتقدك...الحياة هنا صعبة، وكل شيء حزين، وقلبي يتألم...إلخ!

يوم ٦ – التعارف

لم يكن شبابه هو راحته كما ظن منذ سنوات عدة، بل كانت الحياة أقسى عليه مما تصور بكثير، ولكنه لم يحب أبداً أن يعكر صفو أيامه بذكرياته، إلى أن يأتيه الفرج فيموت ويستريح!

لأسباب وذكريات لا يحب أن يجعل ذهنه يأتي على ذكرها؛ كره صاحبنا هذا عائلته، واتخذ قراره بعد تخرجه من إحدى الكليات أن يسكن وحده بعيداً عنهم، ويكسب رزقه من مارد الذهب في العصر الحديث: الأعمال الحرة عبر الإنترنت!

هذا لمن يستطيع الاستثمار في هذه الأمور باحترافية وبشكل صحيح، والحق أن صاحبنا كان قادراً على ذلك بامتياز، لدرجة أنه جنى مبلغاً لا بأس به من المال جعله جاهزاً في وقت قصير ليشتري أو يستأجر منزلاً أو شقة يستقر وحده بها.

وفي رحلة بحثه عن مكان آدمي للسكن بسعر مناسب؛ سمع عن منزل مهجور يُبَاع بسعر زهيد جداً، وعندما سأل عنه أُخبِرَ أن المنزل ليس مهجوراً وحسب، بل هو مسكون بشهادة كل من جربوا السكن فيه، ورغم أن هذا خبر كاف ليجعل أي شخص يقشعر وترتعد فرائصه وهو يفكر في شرائه إلا أن صاحبنا لم يبد عليه أي من هذا على الإطلاق وهو يقبل على عجل بشراء المنزل، بل إن ملامحه قد بدت مبتهجة وقتئذ وهو ينهي اتفاقه مع البائع!

وبعد أن استلم مفاتيح المنزل وجهزه بمتاعه، وأدخل إليه خطاً للانترنت، قرر أن ينفذ خطته الغريبة التي فكر بها وهو يسمع الأقاويل عن المنزل؛ فصعد الطابق العلوي المهجور غير المشيد، ونادى الشبح وانتظر رده!

كانت جرأته أغرب من أن تُفهَم أو تُبَرّر، لكنه حقاً كرر النداء إلى أن سمع صوتاً خشناً يتردد صداه عبر الجدران المتهدمة يقول: "اخرج، ولا تتجرأ على القدوم مجدداً!"

والحق أن صاحبنا شعر بقشعريرة تسري في جسده؛ فعاد إلى الأسفل وظل بضعة أيام يقاوم قلقه الداخلي، ويلح على عقله أن يطاوعه لينفذ مراده؛ إلى أن أتى اليوم السادس فصعد مجدداً وهو يحمل كوباً من الشاي، وظل ينتقل ببصره في المكان لبضع ثوان ثم تجاهل آخر نداء تحذير من ضميره، ونادى الشبح مجدداً بعد أن ارتشف رشفة من كوب الشاي الساخن: "إذن، كيف حالك اليوم؟ هل افتقدتني؟!"

ترددت أصداء قهقهة خفية في المكان، تبعها صوت الشبح وهو يرد: "أنت تبدو ودوداً بالفعل أيها الشاب!"

-أشكرك!

=ومزعج أيضاً، وربما مجنون!

-أشكرك!

=لم أر قط شخصاً يسأل عن أحوال شبح، بل ويأتي ليسكن في منزل يعلم يقيناً أنه موجود فيه!

-ماذا عساي أقول؟ الوحدة حقاً صعبة!

=فلتعرفني بنفسك إذن أيها الوحيد! و...ربما لا داعي لذكر أية أسماء؛ فأنا لن أذكر اسمي لك!

-لا بأس، هذا قرارك و...أنت صاحب المكان بالطبع! لكن كيف ينبغي أن أناديك؟

=نادني بالشبح، وسأناديك بالشاب.

-اتفقنا إذن، حسناً...إنني أبلغ من العمر ستة وعشرين عاماً، وخريج كلية محترمة، وأعمل في وظائف حرة عبر الإنترنت وأجني منها مالاً لا بأس به، هذا أنا باختصار فماذا عنك؟

=لقد قتلني والدي منذ عشرة أعوام!

-تباً يا رجل!

=لم يطق الإنفاق علي؛ فقتلني...لكن روحي لم ترقد بسلام فعزمت على الانتقام منه...وانتقمت؛ أفزعته وأرعبته بكل ما لدي من إبداع، إلى أن لقي حتفه بسكتة قلبية من فرط الخوف!

-...لكني لا أرى روحك قد رقدت في سلام بعد!

=لم تفعل؛ فبعدما قتلته شعرت بذنب عظيم، رغم أنني كنت أمقته لكن...ما كان علي أن أفعل ذلك، ما كان علي أن أصبح وغداً مثله لمجرد أنني ابتغيت سلام روحي!

-هذا...حقاً مخيف! ومحزن، ومثير للسخرية بعض الشيء بصراحة!

=لا أختلف معك؛ فالقدر مثير حقاً للسخرية، لكنه عادل...لقد تقبلت هذا كله ورضيت بعقابي، وبعذابي وسجني، وبوحدتي في هذا المنزل، وبقيت أتأمل البشر والعالم من حولي وأنا عاجز أن أكون جزءاً منه.

-وماذا بعد؟ هل أصبحت فيلسوفاً؟!

=إنك حقاً ظريف أيها الشاب...لكن ما حدث حقاً هو أنني بقيت كما أنا؛ لم أكبر حتى في السن لكن هيئتي الشبحية وتأملي العميق أكسباني حكمة وبروداً مهيبين...وصوتاً خشناً بالنسبة لعمري! كنت بمثل عمرك عندما قُتِلتُ بالمناسبة!

-وإذن ما مشكلتك مع من يأتون إلى المنزل؟ ألم تقل لتوك أنك لا تود أن تكون وغداً؟!

=إنهم مزعجون أيها الشاب، وأنا أحببت الوحدة هنا ورأيت المنزل من حقي، أهذا كثير علي؟!

-لا، أظنه بالفعل من حقك.

=لم تخبرني بعد إذن؛ لِمَ اخترت تحديداً هذا المنزل لتقطن فيه وأنت تعلم أنه مسكون؟!

-لأنني أعلم أنه مسكون!

=لا تسخر مني!

-لكنني حقاً لا أفعل! الأمر أنني حقاً وحيد؛ لم أشعر براحة مع عائلتي فتركتهم، ولم أكن يوماً أهلاً للحب فلم أجد من أحبها أو تحبني، ولم أكن كذلك أهلاً للصداقة فلا أصدقاء لدي، ولا أدري حقاً فيم كنت أفكر عندما قررت شراء المنزل بثمنه الزهيد المثير للريبة في حد ذاته، لكن...دعني أقل أنني أردت تجربة البحث عن رفيق جديد، ليس من البشر، لا يؤذيني أو أؤذيه...أظنني اشتريت المنزل حقاً لأنني علمت أنه مسكون؛ لأنني وددت أن نكون أصدقاء...أنا وأنت...ربما!

=...نعم، ربما...لكنني الآن سأطلب منك بكل أدب أن تنزل إلى الاسفل مجدداً؛ فلا رغبة لدي الآن بمتابعة الحديث!

-حسناً، لك ذلك...لكنني سأطمئن عليك لاحقاً!

يوم ١٧ – الحسد

توالت الأيام، وتوالت الأحاديث والجلسات بين الاثنين، وإن ظل الشبح محافظاً على غموضه وبروده وهيبته، ولا زال الشاب يتودد إليه ويختبر حسه الفكاهي ومذاق الشاي في حضرته!

ولم تخلُ هذه اللقاءات من أسئلة غريبة كان الشاب يطرحها على الشبح، وكمثال نذكر بضعة تفاصيل من حوار اللقاء الذي دار بينهما بعد بضعة أيام أخرى من قدومه.

كان الشا ب جالساً على كرسي في شرفة يتأمل العالم خارج المنزل من حوله – ولم يكن عالماً شيقاً كون موقع المنزل متواضعاً بعض الشيء – وأمامه مقعد ثانٍ يفترض أن يجلس الشبح عليه، لكنه ضحك منه قائلاً أنه سيجاريه فيما يفعل وحسب، لكنه حقاً لا يحتاج كرسياً للجلوس؛ فالفراغ مجلسه – على حد تعبيره

وكان الشاب قد ارتدى بذلة زرقاء أنيقة جعلت الشبح يبدأ الحوار بسؤاله الفضولي: " هنالك سؤال يثير فضولي أيها الشاب، ما سر ارتدائك لهذه الملابس الأنيقة في كثير من المرات التي تصعد فيها لرؤيتي؟ أليست لهذه الثياب مناسبات خاصة؟!"

رد الشاب بمرح لا يخلو من نبرة أسى لاحظها الشبح: " ليست هنالك لحظات هامة أو مناسبات خاصة في حياتي؛ لذا فإنني أحب أن أكون أنيقاً بداعٍ وبدون داعٍ!"

ضحك الشبح وهو يرد: "إنك حقاً غريب أيها الشاب! وعلى ذكر الغرابة، أليست لديك أسئلة عجيبة تطرحها علي هذه المرة؟!"

ارتشف الشاب رشفة من كوب الشاي الذي اعتاد أن يصعد كل مرة به وهو يسأل: "أتحسدوننا؟!"

=وضح قصدك.

-إننا نحن البشر نحسدكم بصراحة؛ على خفائكم عن أعين الناس، وعلى أنكم لستم مضطرين للتعامل معهم أصلاً، وعلى أنكم غالباً لا تشعرون بشيء خاصة إن كان مؤذياً، أنتم بأمان من الألم والحزن و...

=ولكننا وحيدون! ولا وجود مادي لنا؛ فلا نستطيع تناول الطعام على الأقل!

-يبدو أنك كنت شرهاً وأنت حي، وعلى أية حال أرى هذا ثمناً زهيداً بالنسبة لقيمة سلعته!

=كل يرى العالم بعينيه فقط أيها الشاب!

-إذن أرني إياه، بعينيك!

=إننا نحسدكم على ما تكرهونه وتحسدوننا أننا لا نختبره! ليس ممتعاً كما تعتقد أن تعيش خلف الواقع وتتأمله دون أن تكون لك قيمة فيه، أحياناً أفتقد ما كان يجعل البشر بشراً حتى لو كان مؤذياً لهم.

-ألا وهو؟

=المشاعر، التجربة الإنسانية عامة، والألم خاصة، إنني نوعاً ما أشتاق إلى الألم أيها الشاب؛ فلحظاته وحدها تذكرني بإنسانيتي، ومن الممل هنا ألا أشعر به كثيراً!

-اللعنة على الإنسانية يا رجل! إنك لو اختبرت الألم لقلتَ أنه جحيم وتمنيتَ الهروب منه، وإن حُرمتَ منه اشتقت إليه وتمنيتَه بل ورأيته جنة! أظن أن أياً من يشتاق إلى الألم أو الحزن هو مجنون مع احترامي لك!

في عالمنا هذا أيها الشاب؛ الجنة والجحيم لا ينفرد كل منهما بكيانه؛ بل يعملان سوياً ليكونا تجربتنا الإنسانية كلها بتاريخها وأحداثها ومشاعرها ولحظاتها الفاصلة! ويمكنك أن تظنني مجنوناً إن أردت؛ فالمختلفون في الآراء لا يستطيعون احترام بعضهم بشكل كامل على أية حال وإن ادَّعَوا ذلك!

-معك حق.

قالها وهو يرشف رشفة أخرى من كوبه ثم يعيده إلى مكانه، وحدق في الشبح لبضع ثوان قبل أن يقول له: "أنت حقاً مجنون!"

يوم ٣٥ – خلف الواقع

مر شهر تقريباً على تعارف الشاب والشبح، وزادت لقاءاتهما في الطابق المهجور التي كان الشاب فيها دائماً يتفنن في التأكيد على حس فكاهته، وكان الشبح يفعل كل ما يجعله يبدو كأنه روح فيلسوف توفي منذ نصف قرن!

لكن مرح الشاب هذا خفت فجأة ذات يوم، وعندما صعد ليقابل الشبح أحضر معه جهازاً لوحياً، وشرع يري صديقه غير المرئي إبداعاته الفنية الشخصية من مقالات مكتوبة وتصميمات جرافيكية وأمور من تلك التي يهواها أصحاب العمل الحر على الإنترنت؛ ما حذا بالشبح أن يتعجب ويشعر أن الزمن قد تغير حقاً، وأن هنالك هوة تكنولوجية نوعاً ما بين زمنه وزمن زائره المزعج!

لكن ما أعجبه وفاجأه حقاً هو إبداع هذا الشاب الظريف والمثير للسخرية، فقد قال له: "لم أتوقع منك إبداعاً كهذا!"

رد الشاب بنبرة لا تخلو من زهو مُفتَعَل: "أشكرك، هذا...أقل ما عندي!"

=يحق لك أن تفخر به إذن، وإن كنت، من معرفتي بك، أعلم أنك تمزح!

-بالطبع أنا أمزح؛ فهذا مجرد هراء أضيع به وقت فراغي وأكسب منه رزقي!

=لا تقل هذا، إن عملك مثير للإعجاب، وما يثير الإعجاب أكثر هو ما فاتني في الحياة من هذا التطور الرائع، يبدو أن التكنولوجيا الحديثة أصبحت خير رفيق للمبدعين والفنانين!

-إنني أقدر حماسك، لكن سأخبرك أن كل هذا كان له ثمنه، وثمن هذا هو أننا حُرِمنا تقريباً من إنسانيتنا، التي علمتني أنت من حديثك أن آبه لها نوعاً ما، ولم يعد للإبداع الحقيقي الذي تظنه أنت موجوداً مكان؛ التكنولوجيا جعلتنا مجرد كائنات روتينية لا طاقة لها للقيام بأي شيء...دعك من هذا بأي حال!

=أنت أدرى بزمانك أيها الشاب، وأنا لا أحب إصدار الأحكام على أمور لا أفهمها أو أعاصرها جيداً؛ لذا فلن أجادلك، لكن ما أودك أن تتأكد منه أنك حقاً فنان رائع!

-نعم، وإن يكن؟ لا أحد يأبه!

تنهد الشاب ولم يخف الضيق في نبرة حديثه عن الشبح وهو يكمل: "أخبرتني قبلاً أنك تكره حياتك خلف الواقع وألا تستطيع إيجاد مكان لنفسك فيه، لكن على الأقل أنت تحيا خلفه بالفعل، أما أنا فأحيا فيه ولا أستطيع أن أنتمي إليه!"

تنهد مجدداً ولم يخف الحزن في نبرة حديثه عن صديقه غير المرئي وهو ينهي قوله: "إنني وحيد وحزين، مجرد نكرة لا يشعر بها العالم، وكل ما أريتك إياه منذ قليل لا يخفف وقع هذا الشعور على قلبي، لا غاية لي في الحياة ولا أناس آبه لهم أو يأبهون لي...إني أرجو الموت مع كل خطوة أخطوها، وإني حقاً أحسدك!"

صمت الشبح لبضع لحظات وقد أدرك أن هذا الشاب ليس مجرد مزعج يتسلى بمصادقة الأشباح، بل يتألم تقريباً من نفس ما آلمه قبل أن يُقتَل هو وحتى في حياته الآن، وفهم من حديثه أنه يكتم حزنه؛ فقال له: "أخبرتك سابقاً أن كل يرى العالم بعينيه وحسب، وصدقني لا شيء هنا لتحسدني عليه! إنك تخشى الحزن، هذا أعلمه وأفهمه، لكنك إن لم تسمح لنفسك به فإنها ستنتقم منك بألا تجعلك تنام ليلة أخرى مطمئنة، لا تحرم عينيك من دموعهما!"

-ما عادت هناك دموع لأذرفها، وإن كانت فستكون كاذبة أكثر من دموع التماسيح؛ فما عدت أشعر بشيء!

=هنالك دائماً دموع لِتُذرَف، شئت أم أبيت!

-إن كانت لي حرية الاختيار؛ سأختار في كل مرة ألا أذرفها!

يوم ٥٨ – الموت

وذات يوم صعد الشاب إلى صديقه غير المرئي كما اعتاد، لكنه هذه المرة توقف لبضع ثوان أمام مدخل الطابق المهجور قبل أن يعود أدراجه، لكنه سمع صوت الشبح يسأله: "لِمَ العجلة هذه المرة؟ أيعقل أنك مللت مني؟!"

التفت الشاب إليه ورد: "ليس الأمر كذلك، إنني فقط ارتأيت أنه من الأفضل لك حقاً أن تظل وحيداً بعيداً عن إزعاجي لبعض الوقت..."

قاطعه الشبح: "أنا لا أحتاج أن أكون وحيداً أيها الشاب بل اعتدت أن أكون!"

-أفهمك، أنا وأنت لسنا مختلفين كثيراً في هذا.

=أما زلت تحسدني إذن؟!

-ربما، أشعر أنني لم أتخط هذه المرحلة بعد!

=انتحر إذن، وربما تصبح مثلي!

ضحك الشاب قبل أن يرد: "إن فعلتها، أتظن أن العالم سيشعر بوجودي حينها؟!"

=ولِمَ لا؟ أحياناً تبدأ حياة الإنسان بموته!

-انظروا من يتحدث!

شعر الشبح ببعض الإحراج وهو يرد: "هنالك استثناءات كما تعلم!"

-لكني لا أختلف معك بالمناسبة، ولا أنكر أن كثيراً من الناس لم يأبه لهم العالم إلا عندما ماتوا، لكن...أظن أنهم في المقابل فعلوا شيئاً عظيماً جعلهم يستحقون ذلك.

=ليس بالضرورة.

-بأية حال يا رجل، إن الاحتمالين ليسا في صالحي، ربما من الأفضل لكل منا أن يظل حيث هو!

يوم ٧٢ – المعنى

ومع مرور الأيام زاد الود بين الاثنين، ولم يعد الشبح ينزعج كما السابق من زيارات الشاب، وأصبحت زيارات الشاب لصديقه غير المرئي تتكرر أكثر وأكثر، ولكننا سنختم قصتنا بلقاء لهما حدث فيه ما كنا ننتظره من البداية؛ وهو أن تبدأ صداقة حقيقية بينهما باعتراف الاثنين.

كان الشاب قد صعد إلى السطح يتأمل المكان حوله، وقد بدا العالم لعينيه كأنه لوحة تتلون بأزهى الألوان، ولم يحمل كوب الشاي هذه المرة معه إذ أنه بدأ يشعر بعدم حاجته إلى واحد كي يهدئ أعصابه وأفكاره؛ لأن عقله أخيراً بدأ يجد السلام...نوعاً ما!

وقد أخبر صديقه غير المرئي أن يصعد معه، وعندما أصبح كلاهما بالأعلى وجه الشبح حديثه للشاب بمرح: "يبدو أنك قد قررت البقاء هنا حقاً!"

ابتسم الشاب وهو يرد بمرح مماثل: "ولِمَ لا؟ فقد وجدت صديقاً رائعاً يشجعني على البقاء، إن لم تمانع أنت طبعا!"

هذه المرة لم يرد الشبح أن يخفي مشاعره تجاه رفيقه؛ فقال بنفس نبرته الجادة المعتادة: " ليس لدي مانع؛ فأنا أيضاً وجدت صديقاً جيداً إن لم تمانع الأمر أنت كذلك!"

كاد الشاب يقفز فرحاً وهو يرد سائلاً إياه: "كيف لي أن أتجرأ وأمانع يا رجل؟! إني الآن حقاً أشعر برضا وراحة لم أعهدهما قبلاً! إذن...أهذا يعني أنك ستحتمل زياراتي المتكررة إن أردت أن أقص عليك حكاياتي أو أطلب منك مشورة في أمور حياتي؟"

= بالطبع سأفعل، يا صديقي! أتعلم؟ أظنني بفضلك بدأت أجد لنفسي قيمة؛ بأن أكون صديقاً لك يعينك بحديث أو مشورة، هذا أمر بسيط لكنه يجعلني حقاً أشعر وكأنني أفعل أمراً عظيما!

-شعور متبادل؛ كل هذه الأعوام من الوحدة ولم أشعر أبداً أني حققت ذاتي...أو أوشكت أن أفعل، إلا بمعرفتك، أنت صديق لم أتمن يوماً أن أحظى بأفضل منه!

= هذا إطراء رائع يا رفيقي، وسأقبله...والآن أتسمح لي بأن أعطيك نصيحة ودية؟

-بالطبع، قل ما لديك.

=تزوج!

تمت بحمد الله

ختاماً

كما أسلفت الذكر؛ فهذه صياغة قصصية لفيلم قصير صورته ونشرته بالفعل على يوتيوب، ولمن أراد مشاهدته فهذا رابط:

https://youtu.be/xKnVWhf_pAM?si=lagSwlLcyN2vjziR

وهذا باركود:

وإن أعجبتك الموسيقى التصويرية فأردت سماعها منفصلة، فهذا رابط لها:

https://youtube.com/playlist?list=PLnmfq9Ne6KDhA7_fcChlB0IO3hvopm10F&si=tCNczFY-zQn0MTiy

وهذا باركود: